﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾

[يس: 83]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبلَها:

خـتـمُ الـسّـورةِ بـتـنـزيـه الـلـه تـعـالى عـن كـلِّ سـوء مـنـاسـبٌ لجميع ما أنكره المنكرون

لَمّا تَقَرَّرَتِ وحدانيَّةُ اللّه تعالى وقدرتُه على إحياء العظام، وهي رميمٌ، وأَنْكرهما الكافرون، وضربوا الأمثالَ بأَنّ قاسوا الخلقَ على الخالقِ في عدم قدرتِه تعالى على إحياء العظام، وهي رميمٌ، وردَّ اللّه سُبحانَهُ عليهم بأنَّ أمرَه إذا أراد شيئًا أن يقولَ له: كن فيكون، من غير مهلةٍ ولا تعقيب؛ تسبَّب عنه تنزيهُهُ تعالى عن قولِهم وكفرِهم، وتقريرُ إعادةِ إحيائهم يوم القيامةِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1].

ومن أوجه المناسبةِ بينهما: أنَّ اللّهَ تعالى لمّا بيَّن الأدلَّةَ الباهرة المتنوِّعة على وحدانيَّته وعظيم قدرتِه على خلق الأنام وإحيائِهم بعد المماتِ، ولم يتَّعظ الكافرون بهذه الأدلَّةِ؛ تسبَّب عنه ختمُ السّورة بتنزيهِهِ تعالى عن الشَّريك وإنكار صفاتِهِ العليا وقدرتِهِ على إحياء الموتى؛ ليكون تمامُ السّورة كفايةً للمؤمنين وعظةً للكافرين، فقال تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَلَكُوتُ﴾: (ملك) تدُلُّ تصريفاتُه على قوَّةٍ في الشَّيءِ وصِحَّةٍ، يُقالُ: أَمْلَكَ عَجينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ، وشَدَّهُ، ومَلَّكْتُ الشَّيءَ: قوَّيتُه، والأَصلُ هذا، ثمَّ قيلَ: ملَك الإنسانُ الشَّيءَ يملكُه مَلْكًا، والاسمُ المِلْكُ؛ لأنَّ يده فيه قويَّةٌ صحيحةٌ[2]، والملكوتُ: مُحرَّكة من

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/ 311، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 184.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (ملك).

المُلْك، كرَهَبوتٍ مِن الرَّهبة، مُختصٌّ بمُلْك الله ﷻ، ويُقالُ للملكوتِ: مَلْكَوَةٌ مثل تَرقوَةٍ، بمعنى: العِزِّ والسُّلطان[1]، والمَلَكوتُ في الآية: مُبالغةٌ في المُلْك المُقترن بالتَّصرُّف في مُختلَف الأنواعِ والعَوالمِ؛ لذلكَ جاءَ بعدَهُ كلُّ شَيْءٍ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فتَنَزَّهَ اللهُ سُبحانَهُ الذي بيَدِه مُلكُ كُلِّ شَيءٍ وخَزائِنُهُ: عن كُلِّ عَيبٍ ونَقصٍ، وعَجزٍ وجَهلٍ، فهو يَتصرَّفُ في كلِّ شَيءٍ كما يَشاءُ، وإلى اللهِ تعالى تُرَدّونَ، وتَصيرونَ بعدَ مَوتِكم، فيُجازيكم بأعمالِكم[3].

بيدِ الله تعالى ملكوتُ كلِّ شيءٍ، ومردُّ النّاس ومصيرهم إليه سُبْحانَه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾:

الفاءُ في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ فصيحةٌ؛ لإفصاحِها عن شرطٍ مقدَّر، وتقدير الكلام: إذا ظَهَرَ كُلُّ ما سَمِعْتُم مِنَ الأدلَّةِ عَلى عَظيم قُدْرَةِ الله وتَفَرُّدِه بالإلهيَّة، وأَنَّهُ يُعيدُكُم بَعْدَ المَوْتِ، فَيَنشَأُ تَنزيهُهُ عَنْ أقوالِهم في شَأنِهِ المُفْضيَةِ إلى نَقصِ عَظمَتِه؛ لأنَّ بيَدِهِ المُلكَ الأَتَمَّ لِكُلِّ مَوْجودٍ[4]، ويَحتملُ أَن تُفيدَ الفاءُ السَّببيَّة[5]، أي: التَّرتُّب على طريق أنَّ ما قبلَها موجبٌ لما بعدَها، بمعنى: أنَّ ما فُصِّل من شؤونِ الله تعالى العظيمة موجبٌ لتنزُّهه وتنزيهِه عن سماتِ النَّقصِ بأسرِها أكملَ إيجابٍ[6]، ويفيد بلازِمِه أنَّ ما ضربوه من المثلِ ينافي ألوهيَّةَ الله تعالى.

ما فُصِّل من شؤون الله تعالى العظيمة موجبٌ لتنزُّهه وتنزيهِه عن صفات النَّقصِ كلها

(1) ابن منظور، لسان العرب: (ملك).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 111.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 491، والزجاج، معاني القرآن: 4/ 296، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 60.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 80.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 205.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 182.

التَّوجيهُ النَّحويُّ للمَصْدَر(سُبحانَ):

الأمـرُ بِتَسْبيحِ عَـظـيـم المـلـكِ سُبْحانه

لمّا كان لفظ (سُبحان) مصدرًا، وكان اللَّفظُ قد جاء مترتِّبًا على ما قبله؛ أفاد أنَّ المعنى: فسبّحوا مَن إذا أراد شيئًا؛ قال له: كن فيكون، تسبيحَ الذي بيدهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ، ففيه وجهُ بناءِ هذه الآيةِ على ما قَبْلَها.

دِلالةُ لفظ ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾:

لـفـظُ التَّسبيحِ يفيد التَّنزيهَ عن كلِّ سوء

لمّا كان التَّسبيحُ بمعنى التَّنزيه، وجاء لفظُ التَّسبيح مطلقًا في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾[1]؛ أفاد أنَّ المرادَ تنزيهُ اللّه تعالى عن كلِّ سوءٍ وعن كلِّ ما لا يليق به، ويدخل فيه ما ظنَّه الكافرون به تعالى من عدم قدرتِه على إحياء الموتى دخولًا أوَّليًّا، ولمّا جاء لفظ التَّسبيح ردًّا على ما أضافه الكافرون إلى اللّه تعالى ممّا لا يليق بالإله سبحانَهُ؛ أفاد لفظُ التَّسبيح التَّعجيبَ من أن يقولوا فيه ما قالوا، فلفظُ التَّسبيح مفيدٌ تنزيهَ اللّه تعالى عمّا وصفه به المُشْرِكونَ وتعجيبًا من أن يقولوا فيه ما قالوا[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالموصول وصلتِه:

التَّنبيهُ على عِلّيَّة تسبيحِ اللهِ تَعالى

أُضيفَ المصدرُ إلى الموصولِ وصلتِهِ في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، ولم يرد في النَّظم القرآنيِّ: (فسبحان اللّه)، مع أنَّه أوجزُ؛ للإيماءِ إلى علّيَّة تسبيح اللّه تعالى وتنزيهِه، والمعنى: سبِّحوه؛ لأنَّ بيدِه ملكوتَ كلِّ شيءٍ، ولأنَّكم إليه ترجعون، كما أنَّ التَّعبيرَ بالموصول وصلتِه تقريرٌ لوجه بنائِهِ على ما قبلَهُ، والمعنى: لمّا كان أمرُه تعالى إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن، فيكون؛ أفادَ أنَّ بقدرتِه تعالى ظهورَ كلِّ شيء وبقاءَه، فلا يحدُث شيءٌ - قلَّ أو كثر - إلّا بإبداعه وإنشائه، ولا يبقى من المخلوقاتِ شيءٌ إلّا بإبقائه، فمنه ظهورُ ما يحدث، وإليه مصيرُ ما يخلق[3].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 464.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 32، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 275.
(3) القشيري، لطائف الإشارات: 3/ 226.

دلالةُ تقديم المسندِ على المسنَدِ إليهِ:

قُدِّمَ المسندُ على المسندِ إليه في قولِه: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ لإفادة الحصرِ والاختصاصِ، والمعنى: بيدِه تعالى وتصرُّفِه خاصَّةً ملكوتُ كلِّ شيءٍ لا بيدِ غيرِه وقدرتِه.

دِلالةُ لفظِ ﴿مَلَكُوتُ﴾:

جاء التَّعبيرُ بلفظ ﴿مَلَكُوتُ﴾؛ للإيذانِ بأنَّ ملكَهُ تعالى تامٌّ بليغٌ واسعٌ لا نقصَ فيه بوجهٍ، وأنَّ سلطانَه في ملكِه قاهرٌ، فهو المُلْكُ المُقْتَرِنُ بالتَّصَرُّفِ في مُخْتَلَفِ الأَنْواعِ والعَوالِمِ[1]، والمَلَكوتُ بمعنى المُلكِ - بضمِّ الميم لا بكسرِها - أي: المخلوقاتِ المملوكةِ، وزيادة الواو والتّاء للمبالغة في الملك[2]، أي: الملك القويُّ الواسع الدّالُّ على ألوهيَّة اللّه تعالى وربوبيَّتِه، وفي التَّعبير بالملكوت إيماءٌ إلى أنَّ إحياء الموتى يوم القيامة من الملكوتِ، فلا يغيب عنه مخلوقٌ، ثُمَّ لمّا كان لفظُ الملكوتِ يُطلَقُ في مقامِ بيانِ عجائبِ مخلوقاتِه تعالى؛ أفادَ التَّنبيهَ إلى عجائب قدرةِ اللّه تعالى في ملكِه الواسع، فما أنكروهُ، وتعجَّبوا منه - مِن إحياءِ اللّه تعالى العظام، وهي رميمٌ - هو أقلُّ عجبًا وقدرةً ممّا في عجائب ملكوتِه، فيكون في الكلامِ إشعارٌ بتقرير الأدلَّة السّابقة على البعثِ يوم القيامة.

إحياءُ الموتى يوم القيامة من الملكوتِ، ولا يغيب عن ملكوتِ اللّه تعالى شيءٌ

فائدةُ تركيب ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾:

التَّركيبُ الإضافيُّ في قوله: ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ هو أعمُّ العامِّ لاستغراقِه جميع المخلوقاتِ؛ إذْ لفظُ ﴿كُلِّ﴾ لفظ عامٌّ، ولمّا أُضيف إلى ما يصحُّ إطلاقُه على أيِّ موجودٍ؛ أفاد العمومَ الشّامل لجميع المخلوقات، فكان تركيبُ ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ أعمَّ العامِّ، ومناسبةُ التَّعبير بهذا التَّركيب الإيذانُ بأنَّه لا أحدَ خارجٌ من قَبْضَةِ قُدرتِه وسُلطانِه.

لا أحدَ خارجٌ عن قدرةِ اللّه تعالى وسلطانِه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 178، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/ 152، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 111.

(2) النّحاس، معاني القرآن: 2/ 449.

فائدةُ العطف:

تنوُّعُ معنى الواو تكثيرٌ للمعنى

أفادت الواوُ في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ عطف الجملة الفعليَّة على الجملة الاسميَّة في قوله: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، فَجملة: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعونَ) من تمام صلةِ الموصول؛ ليُفيد تعليلَ ثبوتِ تَنْزيهِه تَعالى ووجوبِه على العبادِ، أي: سبِّحوه؛ لأنَّه تعالى هو الذي بيدِه ملكوتُ كلِّ شيءٍ، والذي إليه تُرجَعون، فالعطفُ من عطف الجملة الخبريَّة على مثلِها.

ويَحتمل أن تكونَ جملةُ: (إلَيهِ تُرجَعونَ) معطوفةً على جملة ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ من عطف الجملة الخبريَّة على الإنشائيَّة، ويختلف المعنى على معنى الفاء، فعلى القولِ بأنَّ الفاء في ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ هي الفصيحةُ، تكون جملة: (إلَيهِ تُرجَعونَ) داخلةً في حيِّز ما شَمِلَتْهُ الفَصيحةُ، والمَعْنى: قَدِ اتَّضَحَ أَنَّكُم صائِرونَ إلَيهِ غَيرَ خارِجينَ مِن قَبضَةِ مُلكِهِ، وذَلِكَ بِإعادَةِ خَلقِكُم بَعدَ المَوتِ[1]، وعلى القول بأنَّ الفاءَ للتَّرتُّب؛ فالمعنى: أنَّ ما فُصِّل مِن أوصاف الله تعالى الجليلة وشؤونِه العظيمة موجبٌ لتنزيهِه تعالى، ولأن يكونَ إليه رجوعُكم يومَ القيامة.

دلالةُ تقديم الجارِّ والمجرور:

التَّقديمُ بين إفادة الاهتمامِ وإفادةِ الحَصْرِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿وَإِلَيْهِ﴾ على الفعل ﴿تُرْجَعُونَ﴾ للاهتمام بالمقدَّم، والقصدُ: تحقيقُ أنَّ رجوعَكم إليه، وإنَّما قلنا: إنَّ التَّقديم للاهتمام لا لحصر الرُّجوع إليه تعالى؛ لأنَّ الكلامَ في سياق الرَّدِّ على الكافرين المنكرين الرُّجوعَ يومَ القيامة أصلًا، فلم يكونوا يزعمون أنَّهم سيرجعون إلى غيرِه تعالى؛ ليكون التَّقديمُ مفيدًا الحصرَ.

وذهب بعضُ أهل العلم بالتَّفسيرِ إلى أنَّ التَّقديمَ لإفادة الحصر، والمعنى: إليه تُرجَعونَ لا إلى غيرِه[2]، ففيه تقويةٌ لإثباتِ الحشرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 80.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 185، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 182.

وتوحيدِه تعالى المناسب للمقام، كما أنَّ في تقديم الجارِّ والمجرور رعايةً للفاصلة وتناسُبِ رؤوس الآي.

بيانُ مرجعِ الضَّمير في ﴿وَإِلَيْهِ﴾:

يختلف بيانُ مرجع الضَّمير بحسب دلالةِ العطفِ في قولِه: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، فعلى القولِ بأنَّ المعطوفَ من تمام صلةِ الموصول، فالضَّميرُ في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ﴾ يعود إلى الاسمِ الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ بما اتَّصف به من صلتِه، والمعنى: وإلى الذي بيدِه ملكوتُ كلِّ شيءٍ تُرجَعون، فعلى هذا الوجهِ: يكون في عود الضَّمير وعدٌ للمقرَّبين ووعيدٌ للمنكرين.

ليس بعد الرُّجوع إلى الله تعالى إلّا الحساب

وعلى القول بأنَّ الجملةَ معطوفةٌ على الجملة الإنشائيَّة ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾، فالضَّميرُ يعود إلى الاسم الموصولِ في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، والمعنى: وإلى الَّذي خلق السماوات والأرضَ، والقادرِ على أن يخلقَ مثلكم، والذي أمرُه إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، ترجعون، وعلى هذا الوجهِ يكون في عود الضَّمير تقريرٌ للاستِدْلال وبيانٌ لصحَّة وقوع البعث.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفِعل المضارع:

جاءَ التَّعبيرُ بالفعلِ المضارع ﴿تُرْجَعُونَ﴾ من قولِ الله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ لتصويرِ الحالِ، ترهيبًا للمنكرين وترغيبًا للمؤمنين؛ إذ الرُّجوعُ إلى الله تعالى يعقبه إثابةُ أهل الإيمانِ، وعقوبة أهل الكفرانِ.

ترهيبُ الكافرينَ وتَرغيبُ المُؤْمِنين

بلاغةُ الكنايَةِ:

لمّا قال الله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ - أي: يوم القيامة - أفاد بلازمِه الإخبارَ عن أنَّه تعالى سيحاسبكم، ويجازي المحسنَ على إحسانِه، ويعاقب المسيء على إساءَتِه، فليس المرادُ مجرَّدَ الرُّجوع إليه تعالى من غيرِ حسابٍ ولا جزاء، بل المرادُ الوعدُ للمقرّين بالله

الرُّجوعُ إلى الله تعالى يَقْتَضي الجزاءَ والحِسابَ

وبقدرتِه على البعثِ، والوعيد للمنكرين وحدانيَّةَ الله تعالى وقدرتَه على إحياء الموتى[1].

توجيهُ القراءات القُرآنيَّة:

التَّكامُلُ الدَّلالي للقراءات القرآنيَّةِ

قرأ الجمهور ﴿تُرْجَعُونَ﴾ ببناء الفعل للمفعولِ، وقرأ يعقوب: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ ببنائه للفاعل[2]، فعلى قراءةِ الجمهور - بصيغة المبني للمفعول - للإشعارِ بغاية صَغارِهم وقهرِهم؛ لأنَّ الرُّجوعَ يكونُ قهرًا وبأسهل أمرٍ، وعلى قراءة يعقوب - بالبناء للفاعل - يفيد أنَّ انقيادهم في الرُّجوع من شدَّة سهولتِهِ عليه، كأنَّه ناشِئٌ عن فعلهم بأنفسهم اختيارًا منهم[3].

فالحجّةُ لمن ضَمَّ: أنّه أراد: تُرَدّون، على اعتبارِ أنّ الله أرجعهم قَسْرًا فلا يستطيعون فَكاكًا، والحجّة لمن فَتَحَ: أنّه أراد: تَصيرون[4]، أي: سيصير رجوعكم إلينا، وستأتوننا بأنفسكم، كأنّكم مضبوطون على ذلك، أي: سواءٌ أردتم الرّجوعَ إلى الله أم لم تريدوه فإنّكم إليه راجعون على كلّ حال[5].

(1) النّسفي، التيسير في التفسير: 12/ 383، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 275.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 208.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 185.
(4) ابن خالَوَيْهِ، الحُجّة، ص: 249، وابن الجزري، النشر: 2/ 341.
(5) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 669، وابن الجزريّ، النشر: 2/ 343، والبنّا، إتحاف فضلاء البشر، ص: 439.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»